إعادة التأهيل العمراني لسوق مدينة إب القديمة لتحقيق تنمية سياحية مستدامة

*د. محمد أحمد حسن الحدأ

ملخص البحث:

يُعد الاهتمام بالتراث المعماري من أهم متطلبات التنمية العمرانية ويمثل أولوية حضارية لأي سياسة تنموية جادة لذا فقد تعالت الأصوات تحذر من خطر ضياع التراث المعماري المحلي والعالمي ومطالبة بالحفاظ عليه، ويعد سوق مدينة إب القديمة تراثاً ثقافياً وعمرانياً متميزاً ببعديه الاجتماعي والاقتصادي، وهذه حقيقة لا يمكن إغفالها أو إهمالها بغض النظر عن عامل الزمان والمكان، وقد مثل السوق لمدينة إب القديمة قصبتها الرئيسية التي أحاطت بها المباني السكنية والدينية والمنشآت العامة من جميع الاتجاهات، واتسم السوق على مر العصور بالحيوية والازدهار، وتلبية احتياجات ومتطلبات مدينة إب القديمة والمناطق المجاورة لها، كما لعب السوق دوراً رئيسياً في استمرارية وتطور مدينة إب القديمة وبقائها حية على مدى قرون عدة.

ولكن نتيجة للتطورات الكبيرة التي شهدتها مدينة إب القديمة بعد قيام الثورة المباركة عام (1962م)، وما صاحب هذه التطورات من توسعات عمرانية واسعة لمدينة إب القديمة خارج سورها وظهور أسواق جديدة وحديثة، بدأ سوق مدينة إب القديمة يفقد بريقه ومكانته كسوق جامع لكل الأسواق التخصصية، وأصبح السوق حالياً يعاني من إهمال كبير ومشاكل كثيرة تهدد بفنائه واندثاره. يهدف البحث إلى وضع المقترحات والحلول المعمارية التي يمكن تبنيها لإعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة لتحقيق تنمية سياحية مستدامة تخدم المدينة وتلبي احتياجات ساكنيها ويخلص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات التي تبلور أهم ما توصل إليه البحث.

المقدمة:

مدينة إب: إب ـ بكسر الهمزة والباء الموحدة المشددة – هي عاصمة محافظة إب إحدى محافظات الجمهورية اليمنية وتقع مدينة إب جنوب العاصمة صنعاء على بعد حوالى (193كيلومتراً) على الخط الرئيسي صنعاء – تعز، وقد شيدت مدينة إب القديمة على ربوة عالية من السفح الغربي لجبل ريمان – بعدان، وترتفع عن مستوى سطح البحر حوالى (2000متر) وتحتل مساحة تقدر بـ (13,140هكتار) يحيط بها جبل بعدان من جهة الشرق، وجبل التعكر الذي يفصلها عنها وادي ميتم من جهة الجنوب، وجبل المسوار من جهة الجنوب الشرقي بين بعدان و التعكر أما من جهة الغرب فتطل مدينة إب القديمة على وادي الظهار ومن الشمال على وادي السحول – وتعتبر مدينة إب القديمة على وادي الظهار ومن الشمال على وادي السحول – وتعتبر مدينة إب من المدن اليمنية القديمة التي يرجع تاريخها إلى عهد الدولة الحميرية ومن أثارها القديمة " الدار البيضاء " وهو مقر ضخم تهدم معظمه وسمي بالبيضاء نسبة إلى البيضاء بنت شمر يهرعش، كما إنها برزت في العصر الإسلامي كمدينة إسلامية وقد أشار القاضي " الأكوع " بقوله ((إن مدينة إب لم تذكر في الأخبار والأدب إلا في آخر القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، حينما هاجم الأمير " عبدالله بن قحطان الحوالي " عام (380هـ) وكانت قبل ذلك قرية مسورة لها من الآثار سورها وجامعها)) فجامعها الكبير يعود تاريخه إلى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وأسس بأمر منه رضي الله عنه – ومازال يسمى إلى اليوم " الجامع الخطابي " [1].

وتمتاز مدينة إب القديمة بنمط معماري يماثل الأنماط السائدة في المدن الجبلية قوامه الحجارة ومنازلها تتكون من عدة أدوار تتراوح معظمها ما بين (-5V طوابق) تزين واجهاتها أفازير ونوافذ على شكل فتحات دائرية يغطيها الرخام ونتيجة لموقعها الجغرافي المكون من ربوة عالية على سفح جبل، فقد تعذر تخطيط شوارعها بشكل مستقيم، فاستعاض المعمار اليمني عن ذلك بأن أقام سلسلة من السلالم الصاعدة والتي تبدأ من سور وأبواب المدينة، وتعد مدينة إب القديمة من المدن الجميلة والغنية

* أستاذ قسم العمارة المشارك، كلية الهندسة، جامعة إب

بتراثها المعماري نظراً لما تحمله من صفات ومميزات تاريخية إضافة لامتلاكها عدداً من المباني الأثرية وأجزاء من سورها والسلالم الصاعدة المرصوفة بالأحجار علاوة إلى سوقها التقليدي الذي يعد تراثاً ثقافياً ومعمارياً متميزاً ببعديه الاجتماعي والاقتصادي، وهذه حقيقة لا يمكن إغفالها أوإهمالها بغض النظر عن عامل الزمان والمكان.

وقد مثل السوق لمدينة إب القديمة قصبتها الرئيسية التي أحاطت بها المباني السكنية والدينية والمنشآت العامة من جميع الاتجاهات، واتسم السوق على مر العصور بالحيوية والازدهار، وتلبية احتياجات ومتطلبات مدينة إب القديمة والمناطق المجاورة لها، كما لعب السوق دوراً رئيسياً في استمرارية وتطور مدينة إب القديمة وبقائها حية على مدى قرون عدة. ولكن نتيجة للتطورات الكبيرة التي شهدتها مدينة إب القديمة بعد قيام الثورة المباركة عام (1962م)، وما صاحب هذه التطورات من توسعات عمرانية واسعة لمدينة إب القديمة خارج سورها وظهور أسواق جديدة وحديثة، بدأ سوق مدينة إب القديمة اليوم يفقد بريقه ومكانته كسوق جامع لكل الأسواق التخصصية، وأصبح السوق اليوم يعاني من أخطار متعددة تهدد بفقدانه ولهذا جاءت أهمية هذا البحث.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في تعرض سوق مدينة إب القديمة لمشاكل عديدة أهمها الإهمال بسبب نزوح التجار وأصحاب الحرف التقليدية منه إلى الأسواق والأحياء الجديدة خارج سور مدينة إب القديمة، وتعرض السوق للتغيير في فضاءاته المعمارية الوظيفية الأصلية، حيث تحولت من فضاءات لممارسة الأنشطة التجارية والحرفية إلى فضاءات أساسية لسكن الغرباء عن المدينة. ونظراً لعدم وجود دراسات متخصصة تتناول بالبحث الحلول المعمارية للمشاكل التي يعاني منها سوق مدينة إب القديمة فإن هذا البحث يأتي كضرورة ملحة للتطرق إلى هذه المشاكل وسبل حلها ومعالجتها.

أهداف البحث:

1 -يهدف البحث الحالي إلى توضيح طريقة المحافظة على التراث الثقافي والعمراني لسوق مدينة إب القديمة وإبراز أهميته الأثرية والتاريخية .

2 - يهدف البحث إلى بيان كيفية إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة للوظائف الحضرية المعاصرة.

3 -يهدف البحث إلى توضيح طريقة إعادة إحياء مدينة إب القديمة من خلال إعادة إحياء السوق .

4 -يهدف البحث إلى توضيح كيفية حماية الصناعات الشعبية والحرف التقليدية التي اشتهرت بها مدينة إب القديمة من الاندثار والاهتمام بتطويرها وأسلوب عرضها لتكون مصدر جذب سياحي.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على الدراسات النظرية والميدانية وجمع البيانات وتحليلها للتعرف على المشاكل الموجودة في سوق مدينة إب القديمة، بالإضافة إلى المسح المكتبي للاستفادة من الكتب والدوريات العلمية لبناء الإطار النظري .

ويخلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث .

أسواق العرب القديمة:

لقد كانت للأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام دورة اقتصادية سنوية متكاملة تنقل التجارة والثقافة من شرق الجزيرة إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها من خلال طريقين للتجارة أحدهما شرقي يصل عمان العراق وينقل بضائع اليمن والهند وفارس براً، ثم يمر غرب العراق إلى البادية حتى ينتهي به المطاف في أسواق الشام، يمر التجار فيه على أسواق اليمن والعراق وتدمر وسوريا يبيعون في كل قطر ما لا يكون فيه، ويأخذون منه إلى غيره ما يروج فيه، والطريق الثاني وهو الأهم غربي يصل اليمن بالشام مجتازاً بلاد اليمن والحجاز ناقلاً أيضاً بضائع اليمن والحبشة والهند إلى الشام وبضائع الشام إلى اليمن حيث تصدّر إلى الحبشة والهند بحراً [2].

لقد استأثر اليمنيون في القديم بتجارة الجزيرة العربية مع غيرها من الممالك، حيث كانت القوافل التجارية اليمنية تقوم من شبوة

في حضرموت وتذهب إلى مأرب، ثم تتجه إلى مكرنة (مكة) فيما بعد وتظل في طريقها من بتراء حتى غزة المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وظل ذلك دأبهم على اختلاف دولهم في الأزمان التي تقدمت الإسلام(أنظر شكل1). لقد حفظت لنا الذاكرة العربية في تراثنا العربي أنماطاً ونماذج من هذه الأسواق مثل سوق تدمر، البتراء، غزة، سوق صنعاء، سوق عكاظ، سوق المدينة وغيرها، ورغم ضعف بعض الأسواق إلا أنها تعتبر عاملاً مهماً من عوامل استمرار العلاقات الاقتصادية والسياسية بين عرب الجزيرة وبين الممالك العربية في الشمال الشرقي والشمال الغربي متمثلة في المناذرة والغساسنة ومن ورائهما فارس والروم، كما كانت عاملاً من عوامل وحدة اللغة العربية وبلورتها فيما عرف لدى علماء اللغة بلغة قريش، وأحد أسباب بروز مكة كملتقى للعرب جميعاً، إليها تهوي نفوسهم وفيها تروج تجارتهم و بها يلتقون بآلهتهم الوثنية، كما كانت هذه الأسواق أيضاً عاملاً من عوامل التلاقح العرفي بين القبائل وقيام التجمعات القبلية في شكل أحلاف ترعى مصالح المنتمين إليها اجتماعياً وقبلياً واقتصادياً وحسن علاقتهم بالآخرين[3].

ومع انبلاج فجر الإسلام، أسلمت الجزيرة العربية ودان العرب للنبي الأمي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى بعد ملحمة من الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال، كان لا بد من أن تدخل أسواق العرب التجارية في طور جديد، فقد اهتم الإسلام بأمر تجارتها وشرع لهم فيها ما يحتاجون إليه، وطفح الحديث الشريف بأحكام البيع والشراء والاحتكار والديون والربا .... إلخ. وبعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية على يد خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم نشأت مدن إسلامية جديدة مثل الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان وغيرها، وبرز دور الأسواق فيها ولعل أبرزها هو مربد البصرة، ولم يقتصر دور الأسواق قبل و بعد الإسلام على الجانب الاقتصادي فقط بل كان لها دور في تناول الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وتبادل الآراء فيها ونقل المعلومات والأخبار وإشاعة وترويج الدعاية والإعلان عن الأحداث السياسية والحروب، والدعوة لدرء آثار الكوارث الطبيعية وغيرها ولهذا غدت الأسواق مراكز حضارية وثقافية هامة [4].

لمحة تاريخية عن سوق مدينة إب القديمة:

تميزت مدينة إب القديمة بنسيج عمراني وتخطيطي يعبر عن الحقيقة الروحية لنظام سياسي واجتماعي واقتصادي وديني عاشته المدينة منذ القدم، وقد مثل السوق في المراحل الأولى لنشأة مدينة إب القديمة قصبتها الرئيسية التي أحاطتها من جميع الجهات المباني السكنية والمنشآت العامة وبكثافة نسبية متفاوتة فيما بينها (انظر شكل 2). لقد جاء موقع السوق في ملتقى ثلاث مناطق هي بعدان والسحول وجبلة وأيضاً على مشارف طريق قوافل الرحلات بين مناطق اليمن المختلفة، لذا فقد لعب السوق دوراً هاماً كمركز تجاري أسبوعي يلبي احتياجات مدينة إب القديمة والمناطق المجاورة لها [3].

ونظراً للزيادة المطردة في تعداد سكان مدينة إب القديمة تطلب الأمر إقامة سوق ثابتة يومية وليس أسبوعية لإشباع رغبات الناس المتزايدة مع مراعاة توسعه حسب إجراءات سياسية اقتصادية محددة وهادفة.

إن الأساس الذي قام عليه سوق مدينة إب القديمة إنما هو سياسي اجتماعي اقتصادي، أي إن إنتاج السلع وتوزيعها تنظمه التركيبة الاجتماعية بطريقة مثلى تضمنت إشباع رغبات الفرد والجماعة، ولهذا فإن النشاط التجاري في السوق قد اعتمد على الاعتراف بالمعايير والنظم الاجتماعية التي ينبغي مراعاتها بنفس القدر الذي تراعى فيه رغبات الجمهور.[5] وكنتاج حتمي للتطور التاريخي لمدينة إب القديمة ازداد الحجم الكمي والنوعي البضائعي والسلعي بل تضاعف عدة مرات، وانعكس ذلك معمارياً على سوق مدينة إب القديمة في الحجم والمساحة وظهرت الأسواق التخصصية والحرفية، وكبر حجم التعامل في التبادل التجاري وكثرت المهام والاختصاصات في عملية إدارته مالياً وتجارياً وأمنياً، وأصبحت المرجعيات ذات العمومية من تشريعات وأعراف قاصرة في نظمها وآلياتها للتعامل مع هذا الحشد الكبير المتنامي كماً ونوعاً[5]، ولهذا تم تشكيل مجلس للتجارة في سوق مدينة إب القديمة برئاسة التاجر إسماعيل بن محمد بن عبدالله باسلامة لمجابهة مشاكل التجار في سوق المدينة وحلها بالطرق

المعتادة عندهم وفصل ما يجري بين التجار من خلاف ونزاع، وفي سنة (1329هـ / 1911م) تم تعيين التاجر إسماعيل بن محمد باسلامة رئيساً لبلدية مدينة إب القديمة من قبل حكومة مدينة إب العثمانية ولأول مرة في عهد الأتراك بالذات عرف اليمن هذا المنصب وكان قديماً يعرف هذا المنصب في عرف علماء الفقه بمنصب (الحسبة) وهي تعني الإشراف على المكاييل والموازيين في الأسواق ومعرفة الغش بها ومعرفة الأسعار للحبوب وتحديدها ...إلخ.

ولا يمنح هذا المنصب أو يسند إلا إلى رجل توفرت لديه مؤهلات لحيازته نوعاً من المعاملات الفقيه التي قرأها وحصل عليها وأن يكون متميزاً بالنزاهة والعدالة وعنده حذق بالسياسة الدقيقة كي تجري الأمور على بصيرتها، وقد اشتغل التاجر إسماعيل بن محمد با سلامة بهذا المنصب الجديد إلى جانب منصبه الأول رئيس مجلس التجار في مدينة إب مع احتفاظه أيضاً بعمله الحر التجاري الذي عرف به[6].

وقد استمر العمل بوظيفة الحسبة في سوق مدينة إب القديمة حتى ظهور القوانين الحديثة (العصرية) بعد قيام الثورة المباركة عام (1962م).

سوق مدينة إب القديمة:

يُعد سوق مدينة إب القديمة أحد معالمها الرئيسية التي تميزت بها والذي يعد نتاجاً مادياً وحضارياً لعصور تاريخية متتالية وهو من طراز الأسواق الحضرية المفتوحة. يقع السوق في مركز مدينة إب القديمة بارتفاع يتراوح مابين (1999 -2020متر)عن مستوى سطح البحر.[7] (انظر شكل3).

وبطبيعة الحال فإن مساحة السوق كانت في الأصل صغيرة، ثم أخذت تتسع بالتدريج لتشمل منشآت ملحقة به وتخدمه كسماسر الإيواء والخزن والتسويق وحفظ الودائع الثمينة والمساجد والحمام الساخن وسبل المياه(سقاية الماء) الممتدة من ساقية المشنة في جبل بعدان (أنظر شكل 4) وتبلغ المساحة الحالية لسوق مدينة إب القديمة نحو(132,16م^2) من إجمالي مساحة مدينة إب القديمة المقدرة بـ(140, 13هكتار)[8]أما أسواقه التخصصية فتبلغ نحو (16 سوقاً) تحتوي على ما يقارب(400 دكان) (محل) ازدهرت فيها مختلف المهن والحرف اليدوية المختلفة(إنظر شكل 5).

أقسام سوق مدينة إب القديمة:

من خلال الدراسة الميدانية والبحثية لسوق مدينة إب القديمة يمكن تقسيمه إلى أربعة عناصر وفق وظائفها التخصصية على النحو الآتي : -

أولاً : الأسواق التجارية التي تختص بالبيع بالتجزئة وهي على النحو الآتي : -

1 - سوق الملح : ويسمى أيضاً بالسوق الأعلى نسبة إلى منطقة الميدان الأعلى التي يقع فيها (إنظر شكل 6) وهذا السوق مقسم إلى عدة أسواق تخصصية هي :

- سوق الحبو ب - سوق الملح والبهارات
- سوق المدر - سوق الحطب

2 - سوق الطعام : يقع في سكة الحلقة، اختص ببيع الأكلات الشعبية المختلفة (أنظر شكل7) .

3 - سوق اللقمة : يقع بين سوق الطعام وسوق القات الحالي وفيه تباع أنواع اللقمة الشعبية (الخبز)والحلويات والقهوة.

4 - سوق المعطاره : يقع في سكة الحلقة وقد اختص هذا السوق ببيع العطور والحناء والأعشاب الطبيعية (إنظر شكل 8).

5 - سوق اللحمة : سابقاً كان يقع في سكة الحلقة جوار دار الملك ثم نقل السوق في عهد القاضي أحمد السياغي والي إب قبل الثورة إلى جوار باب سنبل لاعتبارات صحية وبيئية.

6 - سوق المزاينة (الحلاقين) : يقع شمال المدرسة الشمسية .

7 - سوق سكة النخلة : يقع شمال مدرسة الجلالية العليا ويمتد من سوق المزاينة وحتى سوق اللقمة (إنظر شكل9) وقد سمي سوق النخلة بهذا الاسم نسبة إلى نخلة مرتفعة كانت موجودة وسط السوق وهو يحتوي على عدة أسواق تجارية وحرفية منها :

- سوق البز (القماش) : اختص هذا السوق ببيع أنواع الأقمشة والمصاون والفتلة والصوف (إنظر شكل 10).

8 - سوق القات : سابقاً كان يقع مكان سوق اللحمة في سكة الحلقة ثم انتقل مؤخراً إلى وسط السوق جوار جامع الأسدية (إنظر شكل 11).

ثانياً : الأسواق الإنتاجية (التجارية والحرفية) هي أسواق اختص كل واحد منها بإنتاج بعض المنتجات الحرفية اليدوية

والصناعات الشعبية سواء الخاصة باللبس والزينة أو الخاصة بالأدوات والتجهيزات المنزلية وتعد هذه الأسواق صغيرة إذا ما قورنت بالأسواق الحرفية الموجود في مدينة صنعاء القديمة من هذه الأسواق الآتي :

1 - سوق الخياطة والحياكة : يقع هذا السوق في سكة النخلة وفيه يتم خياطة الملابس المختلفة وحياكتها وتطريزها.

2 - سوق الذهب والفضة : يقع في سكة النخلة واختص بصياغة الذهب والفضة وسبانك الزينة.

3 - سوق الجنابي : يقع في سكة النخلة واختص بإنتاج الجنابي والخناجر والسيوف.

4 - سوق المحدادة : يقع هذا السوق عند الباب الكبير لمدينة إب القديمة وفيه يتم إنتاج أدوات البناء وأدوات النجارة والزراعة والتجهيزات المنزلية .

5 - سوق النجارة : يقع بالقرب من مسجد الكاظمي وفيه يتم إنتاج المصنوعات الخشبية المختلفة مثل الأبواب والنوافذ والمشربيات والصناديق التي تستخدم لحفظ الملابس والأشياء الثمينة.

ثالثاً : الأسواق ذات الفضاءات المفتوحة : وهي الساحات (غير مسقوفة ومظلة) تؤجر مساحتها لبيع مختلف السلع والبضائع مثل : ساحة الميدان الأعلى وساحة الميدان الأسفل وساحة الجاءة .

رابعاً : السماسر : تحتوي منطقة سوق مدينة إب القديمة على مباني كبيرة هي السماسر(الخانات) مثل : سمسرة الجلالية العليا وسمسرة الخان الأعلى والخان الأسفل و سمسرة النقوش وسمسرة الميزان و سمسرة علي نعمان وغيرها.

وتعد هذه السماسر مكملة لأنشطة السوق حيث كان يقيم فيها التجار من خارج مدينة إب القديمة مع دوابهم و تخزين بضائعهم[9]. ونجد أن العلاقة بين جميع هذه العناصر متماسكة ومترابطة وفي نفس الوقت كل له خصوصياته لأن تكوينه كان مبنياً على تلبية الحاجات المتتالية خلال نمو وتطور مدينة إب القديمة [10].

الخصائص العمرانية والمعمارية لسوق مدينة إب القديمة:[5].

لقد تميز سوق مدينة إب القديمة بخصائص عمرانية ومعمارية بديعة يمكن إجمالها في الآتي :

1 -اعتمد التكوين الفضائي لسوق مدينة إب القديمة الفصل في فضاءاته الوظيفية ذات العلاقات العامة وبين الحارات السكنية ذات العلاقات الخاصة ، واعتمد الفصل بين الاتجاهين الرأسي والأفقي في تشكيل فضاءاته العمرانية والمعمارية الداخلية ففي مركز السوق تشكلت الفضاءات الوظيفية التجارية والخدمية بنظام أفقي ممتد ولم يزد ارتفاع الدكاكين في السوق عن طابق واحد ، وقد توزعت دكاكين سوق مدينة إب القديمة حول ساحة الميدان الأعلى والأسفل وعلى جانبي الطرق الممتدة من الباب الكبير إلى الجامع الكبير وأيضاً أمام باب سنبل كما توزعت في أطراف السوق سماسر الإيواء الكبيرة وكذا المباني السكنية التقليدية المرتفعة (برجية) ، وارتفعت مأذنة مسجد الجلالية العليا مشكلة مع المباني السكنية العالية معالم حدود السوق لتوجيه حركة الزائر الغريب تجاه السوق.

2 -اعتمد تخطيط سوق مدينة إب القديمة على منظومتين معماريتين تكاملت في علاقتهما وتمايزت بخاصيتي الربط والفصل في وظائفها فالمنظومة الكلية تجمع كل الفضاءات الوظيفية التجارية والخدمية (أسواق ، سقاية ، سماسر ، حمامات ، ...إلخ) أما الأسواق التخصصية الحرفية ذات الوظائف النوعية تشكل منظومة جزئية في بناء التكوين العام للسوق فكل سوق متخصص فيها يمثل الوحدة البنائية في هذه المنظومة.

3 -موقع السوق في مركز المدينة يمثل قلب المدينة وتتجه الحركة إلى السوق من خارج المدينة عبر الأبواب الرئيسية لمدينة إب القديمة الباب الكبير، باب النصر، باب سنبل، باب الراكزة، الباب الجديد.

4 -الطرقات والممرات في سوق مدينة إب القديمة ضيقة بشكل عام مما يسهل عملية انتقال الزوار والتجار من جهة إلى أخرى في السوق بكل يسر وسهولة.

5 - مباني الدكاكين التجارية في سوق مدينة إب القديمة لا يزيد

ارتفاعها عن طابق واحد ومن ثم لا يتواجد فيها أي مكان للسكن[8].

6. يتميز التصميم الداخلي وكذا الخارجي لدكاكين سوق مدينة إب القديمة بالبساطة والبدائية حيث الانخفاض في ارتفاع الدكان وضيق مدخله وصغر مساحته.

7ـ ينقسم سوق مدينة إب القديمة إلى أسواق فرعية تخصصية يتعامل كلٌّ منها في سلعة أو حرفة معينة بهدف اختزال المسافة والوقت وخدمة للمستخدمين والمرتادين.

تصميم الدكان في سوق مدينة إب القديمة:

الدكان (محل) هو عبارة عن فضاء معماري تميز بالبساطة وضيق المدخل وصغر المساحة والارتفاع المنخفض، إذ لا يزيد ارتفاعه عن طابق واحد ويرتفع على مسطبة صغيرة من الحجر يتراوح ارتفاعها من (40 -60سم) فوق مستوى طرق وساحات السوق(إنظر شكل12) كما توجد مسطبة (دكة) مرتفعة نسبياً أمامه ترتفع إلى قرب الباب في الغالب لراحة المشتري في الجلوس عليها أثناء المساومة (التداول) في النوعية والجودة والسعر براحة تحت ظلال المظلة النافرة من سقف الدكان (إنظر شكل13) وغالباً ما يتراجع باب الدكان بنحو (30 -40سم) إلى الداخل عن واجهته. ويستغل فراغ الإزاحة من جانبيه لعرض السلع ويشغل باب الدكان أكثر من (80٪) من واجهة الدكان. تباينت دكاكين السوق في مدينة إب القديمة في مساحتها من حيث وظائفها بين دكاكين العرض ودكاكين (ورش) الإنتاج الحرفي كما تباينت أيضاً دكاكين الإنتاج الحرفي والصناعي فيما بينها من حيث الحجم والمساحة وذلك وفقاً لمعطيات ومتطلبات الإنتاج والعرض السلعي، هذا وتتراوح مساحة الدكاكين في السوق ما بين (7,30 - 9 م^2) بينما ارتفاعها يتراوح ما بين (2,80 -3م^2)

مواد البناء المستخدمة في بناء دكاكين سوق مدينة إب القديمة:

لقد بنيت الدكاكين في سوق مدينة إب القديمة من مواد بناء محلية وهذا يعني تلاؤم البناء مع البيئة المحيطة والطابع العام للمدينة[11]. من هذه المواد ما يأتي:

- الحجر: استخدم الحجر وخاصة حجر الشيصر في بناء واجهات الدكاكين بسمك يتراوح مابين (60 -80سم) باعتبار أن الجدار الواحد يخدم دكانين.

- الطين: استخدم في تلبيس الجدران والسقوف الداخلية لدكاكين السوق بعد خلطه بالقش (التبن) كما استخدم أيضاً كمادة رابطة بين المداميك . - النورة والجص: استخدمت النورة وكذلك الجص (مادة بيضاء ناعمة تنتج من عملية حرق الحجر الجيري) كمادتي إنهاء داخلية لدكاكين سوق مدينة إب القديمة.

- القضاض: استخدم القضاض (عبارة عن خليط من الجير وكسرات حجرية ناعمة من حجر الحبش مضاف إليها الماء) كمادة إنهاء خارجية في سطوح الدكاكين لحمايتها من مياه الأمطار الغزيرة.

- الخشب: استخدم الخشب كأعتاب فوق فتحات أبواب الدكاكين وبسمك يتراوح من (25 -30سم) كما استخدم في تسقيف دكاكين السوق بعد وضع طبقة من الطين عليه ثم طبقة من القضاض كمادة عازلة لحماية السقوف من تساقط الأمطار الغزيرة التي تشتهر بها مدينة إب القديمة، هذا بالإضافة إلى استخدام الخشب أيضاً في عمل أبواب جميع دكاكين سوق مدينة إب القديمة [7].

نمط الأبواب المستخدمة في دكاكين سوق مدينة إب القديمة:

استخدم خشب الطنب في عمل أبواب دكاكين سوق مدينة إب القديمة وقد جاءت هذه الأبواب على ثلاثة أنماط هي: النمط الأول: عبارة عن قطعتين (فردتين) بين الإطار الخشبي الخارجي للباب والمثبت للجدار الحجري وهاتان القطعتان إحداهما مثبتة إلى الإطار والأخرى متحركة تفتح وتغلق.

والنمط الثاني: عبارة عن ثلاث قطع من الخشب إحداهما مثبتة إلى الإطار والأخرى وهي عبارة عن قطعتين من الخشب متحركتين مترابطتين مع بعضهما بمفاصل حركة مصنوعة من الحديد يكتفى بفتح إحداهما في الأيام العادية، وفي حالة الزحام يتم فتح القطعة (الفردة) الثالثة.

أما النمط الثالث: فهو عبارة عن أربع قطع (فرد) خشبية اثنتان مثبتتان في إطار الدكان الخشبي (حلق) واثنتان متحركتين مترابطتين بمفاصل حركة من الحديد تفتحان وتغلقان حسب

الحاجة (إنظر شكل14) وهذا يدل على دقة تصميم الأبواب وإعطائهما مرونة في الحركة والتحكم بفتحة الدكان[10].

أهمية السوق بالنسبة لمدينة إب القديمة:

يُعد السوق في مدينة إب القديمة بمثابة القلب النابض بالحياة والحركة والنشاط حيث تجمعت فيه الفعاليات كلها من تجارة وحرف وخدمات وغيرها، ولبى السوق كل احتياجات ومتطلبات سكان مدينة إب القديمة والمناطق المجاورة لها وشكل منظومة اقتصادية متكاملة ساعدت على استمرارية وتطور المدينة عبر عصورها المختلفة [7].

واستوعب السوق جزءا كبيراً من سكان مدينة إب القديمة وخلق فرص عمل حيث كان يعمل ثلثا سكان المدينة تقريباً في الأعمال التجارية والحرفية المتنوعة مما ساهم في انتعاش الحالة الاقتصادية لمدينة إب القديمة وساكنيها.

المشاكل والأضرار التي يعاني منها سوق مدينة إب القديمة:

يتعرض سوق مدينة إب القديمة للعديد من المشاكل والأضرار التي بلغت حد التشويه لطابعه المعماري وتاريخه الحضاري الذي تميز به، ويمكن إجمال هذه المشاكل والأضرار على النحو الآتي:

1 -نزوح التجار وأصحاب الحرف التقليدية:

كان للتوسعات العمرانية لمدينة إب القديمة خارج سورها بعد قيام الثورة المباركة عام (1962م) وما صاحب هذه التوسعات من ظهور أسواق جديدة مثل السوق المركزي الداخلي، والمركزي الخارجي، وسوق الجملة بالظهار، وغيرها من الأسواق الحديثة، سبباً في نزوح التجار وأصحاب الحرف التقليدية من سوق مدينة إب القديمة إلى الأسواق الجديدة، وهذا أثر سلباً على الحركة والنشاط التجاري داخل السوق القديم وتعرض للإهمال والتغيير لمعالمه الأثرية والتاريخية.

2 -اختزال سوق مدينة إب القديمة من سوق جامع لكل الأسواق التخصصية إلى سوقين فقط:

نتيجة للمتغيرات التي مرت بها مدينة إب القديمة منذ سبعينيات القرن العشرين وحتى عام (2009م) فقد السوق مكانته الأساسية كسوق جامع لكل الأسواق التخصصية، وأصبح السوق الحالي اليوم هو عبارة عن سوقين هما:

- سوق (النخلة)، الذي يحتوي حالياً على (26 دكاناً) (محل) مفتوحاً فقط خصص البعض منها لبيع البضائع الجديدة والمتنوعة، وخصص البعض الآخر لبيع القات الذي يحتل نصيب الأسد من مساحة السوق الحالي كما يضم السوق صالونين للحلاقة ومحل اتصالات حديثة (إنظر شكل15). أما باقي دكاكين سوق مدينة إب القديمة فقد حولت إلى مباني سكنية.

- سوق الطعام واللقمة المختص ببيع الأكلات الشعبية وأنواع الخبز المختلفة.

3 -تغيير البنية الوظيفية والنمط المعماري لسوق مدينة إب القديمة :

لقد بدأت البنية الوظيفية لدكاكين سوق مدينة إب القديمة في التغيير مع بداية الثمانينات من القرن العشرين وتسارع معدل التغيير في التسعينات من القرن العشرين وحتى بداية عام(2008م) .

وظهرت آثار ذلك التغيير مع الزيادة المطردة لسكان مدينة إب وزيادة الهجرة الداخلية (الريفية) إليها، وارتفاع أسعار الأراضي والمضاربة بها وصعوبة الحصول على المسكن الملائم خارج مدينة إب القديمة نظراً لانخفاض دخل الفرد، ونتيجة لذلك بدأت عملية السكن في دكاكين سوق مدينة إب القديمة تنمو وتتوسع يوماً بعد يوم لتحتل مكان الوظيفة الأصلية التي بني السوق من أجلها [11].

وقد وجدنا من خلال الدراسة الميدانية لسوق مدينة إب القديمة أن نسبة (95٪) من دكاكين السوق قد طالها التغيير الوظيفي وأصبحت تستخدم للأغراض السكنية مقابل إيجار شهري يتراوح من (1000 -3000) ريال يمني للدكان الواحد (أنظر شكل16) كما وجدنا أيضاً أن عملية التغيير الوظيفي، لدكاكين السوق قد تمت بطريقتين هما:

الأولى: وهي الإبقاء على الدكان كما هو وتغيير الوظيفة فقط.

الثانية: وهي إجراء تعديلات بنائية وإنشائية على الدكان لتستوعب فضاءاته الوظيفة الجديدة (إنظر شكل17) من هذه التعديلات الآتي:

- تعديل مساحة فتحة أبواب الدكاكين في السوق بحيث أصبحت الفتحة تحتل مساحة (40٪) فقط من مساحة الواجهة بدلاً من (80 ٪) المتعارف عليها سابقاً.

- سد فتحات الأبواب لبعض الدكاكين في السوق واستحداث مكانها فتحات للشبابيك والنوافذ الصغيرة.

- إزالة القواطع الداخلية المشتركة بين بعض الدكاكين لتستوعب فضاءاتها الوظيفة الجديدة.

- استحداث رامبات من مادة البلك والأسمنت أمام بعض دكاكين السوق من أجل صعود العربيات والموترات التي أصبحت تشاركهم السكن في هذه الدكاكين.

4 -المشاكل والأضرار البيئية:

يعاني سوق مدينة إب القديمة من مشاكل وأضرار بيئية ناتجة عن الروائح الكريهة للمخلفات الصلبة والسائلة الناتجة عن الساكنين في دكاكين السوق التي تحولت إلى مباني سكنية وهي تفتقر لأبسط الخدمات الصحية وغيرها، من الخدمات وأصبح سكان هذه الدكاكين يعانون الكثير من الأمراض بسبب الرطوبة وعدم الإضاءة والتهوية الطبيعية في هذه الدكاكين، ومن الضجيج المتزايد والدخان المتصاعد من أصحاب المؤثرات الذين اتخذوا من دكاكين السوق أيضاً مأوى لهم[11].

5 -المشاكل والأضرار الإنشائية:

تختلف دكاكين سوق مدينة إب القديمة فيما بينها من حيث حالتها الإنشائية والفنية فمن خلال الدراسة الميدانية اتضح لنا الآتي: -

- دكاكين سوق الطعام وسوق القات وسوق المزاينة حالتها الإنشائية والفنية جيدة نتيجة للنشاط التجاري الذي ما زال موجوداً فيها.

- دكاكين سوق الملح (الميدان الأعلى) وسوق النخلة حالتها الإنشائية متوسطة.

- دكاكين سوق المعطارة وسوق اللحمة وسوق المحدادة وسوق المدر وسوق الجنابي وغيرها حالتها الإنشائية والفنية سيئة وعلى الرغم من التباين والاختلاف بين دكاكين الأسواق التخصصية لسوق مدينة إب القديمة إلا أنه يمكننا القول بأن دكاكين سوق مدينة إب القديمة في مجملها تعاني العديد من المشاكل والأضرار الإنشائية والفنية والمتمثلة في الآتي: -

1 -تشقق الواجهات الخارجية لدكاكين السوق وتساقط البعض منها.

2 - تساقط التلابيس الداخلية لجدران وسقوف دكاكين سوق مدينة إب القديمة، أما بالنسبة لسقوفها الخارجية فالبعض منها قد أصابتها عوامل التلف بشكل واضح والبعض الآخر قد تم ترميم سقوفها بطريقة مشوهة ومخالفة للطابع المعماري للسوق وذلك باستخدام مادة الأسمنت بدلاً عن مادة القضاض المستخدمة في تغطية السقوف الخارجية للدكاكين والتي أثبتت قدرتها وفاعليتها بدرجة كبيرة كمادة عازلة لمياه الأمطار (إنظر شكل 18).

3 - تشقق أرضيات دكاكين سوق مدينة إب القديمة.

4 - تهالك أبواب الدكاكين وتلف أعتابها الخشبية بسبب قدمها وعدم صيانتها.

5 - استخدام أبواب الحديد والزنك لبعض دكاكين السوق بدلاً من أبوابها الخشبية مما يفقد السوق طابعه المعماري وقيمته الأثرية والتاريخية.

6 -السماسر (الخانات): إن السماسر التي كانت تستخدم لإيواء التجار من خارج مدينة إب القديمة مع دوابهم ولتخزين بضائعهم وتعد مكملة لأنشطة السوق قد انحسر دورها الوظيفي نتيجة للمتغيرات الحديثة ولذا فقد تعرض البعض من هذه السماسر للإهمال ومن ثم الانهيار والاندثار والبعض الآخر رغم تحويلها إلى مباني سكنية للغرباء عن المدينة إلا أن حالتها الإنشائية والفنية أيضاً سيئة جداً فقد بدأ البعض منها بالتساقط التدريجي مما ينذر أولاً بكارثة إنسانية وثانياً بفقدان مدينة إب القديمة لإحدى مكوناتها المعمارية الأثرية والتاريخية.

الحلول المقترحة لمعالجة واقع سوق مدينة إب القديمة:

لقد سبقت الإشارة إلى أن سوق مدينة إب القديمة يحتفظ بتراث معماري وحضاري كبير يتمثل في ما يحتويه من أسواق تخصصية أثرية وتاريخية فريدة ومتميزة إلا أن هذا التراث المعماري يتعرض اليوم للعديد من المشاكل والأضرار التي تهدد بفقدانه واندثاره لذا نحاول في هذا البحث وضع المقترحات والحلول للمشاكل والأضرار التي يعاني منها سوق مدينة إب القديمة

للحفاظ عليه وذلك من خلال إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة - وعملية إعادة التأهيل للسوق تتضمن عنصرين أساسيين هما :

الأول : وهو القيام بعملية الترميم والصيانة والتطوير لسوق مدينة إب القديمة وفق الأسس والقواعد التي يجب مراعاتها عند القيام بذلك ، بهدف الحفاظ على الشكل المعماري والفني والأثري لسوق مدينة إب القديمة.

الثاني : هو إعادة توظيف سوق مدينة إب القديمة سواء في وظيفته الأصلية أو في وظيفة مشابهة أو في وظيفة حديثة أو معاصرة تلبي احتياجات مدينة إب وساكنيها وتخدم التوجهات السياحية المعاصرة فيها.

وتعد عملية إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة وتوظيفه من الأهمية بمكان سواء كان ذلك بالنسبة للسوق ذاته أو بالنسبة لمحيط السوق والطابع العام لمدينة إب القديمة وعدم تأهيل السوق هو فقدان لأحد عناصر مدينة إب القديمة وعدم توظيفه وإعادة استخدامه يجعل منه مكاناً لسكن الغرباء عن مدينة إب أو مكاناً مهجوراً لا يتفاعل مع المجتمع المحيط لذا فإن إعادة تأهيل السوق وتوظيفه هو تنمية له في إطار بيئته المحيطة وإنعاش الحياة داخل هذا الإطار وتكامل عناصر الوجه الحضاري لمدينة إب خاصة إذا كانت الوظيفة منسجمة ومتفقة مع الطابع العام لمدينة إب القديمة ، إلا إن من خصائص عملية إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة أنها يمكن أن تكون مرحلية ، تلك المرحلية التي تفرضها في بعض الأحيان الاعتمادات المالية التي تقرها الجهات المعنية في ميزانيتها العامة السنوية للإنفاق على تنفيذ برامج عملية الحفاظ والصيانة للتراث المعماري والتي غالباً ما تكون شحيحة وغير كافية فقد وجدنا من خلال الدراسة الميدانية أن حجم المبالغ المالية التي اعتمدتها الجهات المعنية ممثلة بالمجلس المحلي لمديرية المشنة - مدينة إب ومكتب السياحة ومكتب الآثار بمحافظة إب في ميزانيتها العامة السنوية لعام (2009م) لا يتجاوز (خمسة مليون ريال) وهذا المبلغ بالطبع غير كاف لقيام هذه الجهات بتنفيذ برامج الحفاظ على التراث المعماري لذا ومن هذا المنطلق نقترح في هذا البحث أن تكون عملية إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة مرحلية وأولى هذه المرحلية هي إعادة تأهيل سوق الملح (الميدان الأعلى) وذلك لما يتميز به عن بقية أقسام سوق مدينة إب القديمة من مميزات أهمها :

1 - سوق الملح يقع في قلب مدينة إب القديمة على أرض مستوية مرصوفة بالأحجار.

2 - يعد سوق الملح من أقدم الأسواق التخصصية المكونة لسوق مدينة إب القديمة وأفضل حالاً منها معمارياً وإنشائياً وفنيا

3 - يعد سوق الملح من الأسواق المفتوحة وهو على شكل مستطيل أبعاده (25×40 متر) وتبلغ إجمالي مساحته الحالية (1000م^2) (انظر شكل19).

4 - يحتوي السوق على (46 دكاناً) (محلاً) منتشرة في كل من : الجهة الغربية (5 دكاكين) ، الجهة الجنوبية (10دكاكين) ، الجهة الشمالية (17دكاناً) ، والجهة الشرقية (6دكاكين).

5 - المنطقة الوسطية في السوق تحتوي على (8 دكاكين) بالإضافة إلى سقاية الماء الأثرية وقد تم استحداث بناء هذه المنطقة وسط السوق في عهد القاضي أحمد السياغي والي إب عام (1945م) وذلك مكان شجرة كبيرة تسمى (طولقة) كان الناس يتجمعون تحت ظلها للبيع والشراء.

6 - ممرات الحركة في السوق وحول المنطقة الوسطية تتراوح من (4 -6,40 متر) وهي كافية ومريحة لحركة الزوار ومرتادي السوق.

7 - يحيط بسوق الملح (الميدان الأعلى) بيت الفن حالياً وبعض المباني الأثرية والتاريخية التي يمكن إعادة تأهيلها واستخدامها بما يخدم في هذا المجال ، إن إعادة تأهيل سوق الملح (الميدان الأعلى) لكي يأخذ مكانه اللائق والمناسب داخل إطار مدينة إب القديمة لا شك أنه يتطلب الآتي :

أولاً : ترميم وصيانة سوق الملح (الميدان الأعلى) :

نقترح القيام بعملية الترميم والصيانة التي يحتاجها سوق الملح الميدان الأعلى والمتمثلة في :

1 - ترميم وصيانة الواجهات الخارجية لدكاكين سوق الملح (الميدان الأعلى) والذي يشتمل على تنظيف وتدريز وتكحيل الواجهات الخارجية لدكاكين السوق بما في ذلك جوانب مدخل

جامع الجلالية العليا وكذا استكمال بناء جدران الدكاكين أسفل بيت الوهابي بحجر شيصر نصف وقيص وتسقيفها بنفس نمط وطابع السوق (إنظر شكل 20).

2 - إزالة أرضية دكاكين سوق الملح التي أصبحت بحالة سيئة واستبدالها بأرضيات من الخرسانة العادية والجص بسمك (15سم).

3 - ترميم الجدران الداخلية والسقوف لدكاكين سوق الملح بحيث يتم عمل تلبيس أسمنتي للجدران الداخلية بارتفاع (1متر)منها (50سم) تحت مستوى أرضية الدكاكين و(50سم) فوق مستوى أرضية الدكاكين لحمايتها من الرطوبة وتآكل الأحجار ومن ثم تلبيس الجدران والسقوف الداخلية بالجص بعد إزالة التلابيس السابقة المتساقطة والمكونة من النورة والجص والملاج (إنظر شكل 21).

4 - دهان الجدران الداخلية والسقوف لدكاكين سوق الملح باستخدام دهان أملشن مائي أبيض وجهين على الأقل بعد جفاف طبقة الجص.

5 - تجديد أبواب سوق الملح الخشبية التي لا زالت بحالة جيدة واستبدال الأبواب التالفة وأبواب الحديد والزنك التي بدأ استخدامها في سوق الملح (أنظر جدول 1) بأبواب خشب سويدي مشتغلة بنفس نمط وطابع الأبواب القديمة المستخدمة في سوق الملح (إنظر شكل 22).

جدول رقم (1) يوضح أبواب دكاكين سوق الملح المطلوب استبدالها بأبواب خشب سويد يتحمل نفس النمط والطابع المعماري لسوق الملح

رقم الباب	مقاس الأبواب		العدد من كل نوع	نوع الباب القديم	ملاحظـــــــات
	عرض	ارتفاع			
1	2,40	3	3	حديد	الواجهة الشرقية أسفل بيت رسام
2	2,40	3	1	خشب تالف	الواجهة الشرقية أسفل الجبري
3	1,25	2	1	حديد	الواجهة الشمالية (باب خشب مشغول لجامع الجلالية)
4	1,20	1,70	2	خشب تالف	الواجهة الشمالية أسفل سمسرة الجلالية
5	2	2,40	1	زنك	الواجهة الشمالية أسفل سمسرة الجلالية
6	1,50	1,90	2	زنك	الواجهة الشمالية أسفل بيت الوهابي
7	2,40	3	2	زنك	الواجهة الشمالية أسفل بيت الوهابي
8	2	2,30	2	حديد	الواجهة الغربية
9	1,40	1,50	1	خشب تالف	الواجهة الغربية (الدكان رقم 3)
10	1,60	1,80	1	حديد	الدكاكين الوسطى (الواجهة الغربية)
11	1,60	1,80	1	حديد	الدكاكين الوسطى (الواجهة الجنوبية)
إجمالي			17		

6 - ترميم وصيانة الأرصفة أمام دكاكين سوق الملح باستخدام حجر شيصر نصف وقيص بعد إزالة أحجار الرصف القديمة والمتهالكة (إنظر شكل 23).

7 - ترميم الأعتاب الخشبية لدكاكين سوق الملح (الميدان

الأعلى) واستبدال التالف منها مع إعادة تنفيذ المظلات فوق أبواب الدكاكين كما كانت عليه سابقاً(إنظر شكل 24).

8 - هدم وإزالة كل من الدكان الملاصق لسمسرة الجلالية العليا مع الصندقة الزنك بهدف توسيع الطريق المؤدية لسوق الملح وكذا إزالة بروز الدكان البلك أسفل بيت رسام وأيضاً الرامبات المستحدثة أمام بعض دكاكين سوق الملح (الميدان الأعلى) بهدف الحفاظ على الطابع المعماري والتاريخي لسوق الملح(الميدان الأعلى)(إنظر شكل25).

ثانياً: إعادة توظيف سوق الملح (الميدان الأعلى):

نقترح إعادة توظيف سوق الملح (الميدان الأعلى) في وظيفة مشابهة لوظيفته الأصلية تلبي احتياجات المدينة وتساهم في تحقيق تنمية سياحية مستدامة وذلك بإعادة توظيفه كسوق لعرض وبيع منتجات الصناعات الشعبية والحرف التقليدية القديمة التي اشتهرت بها مدينة إب خاصة ومحافظة إب عامة مثل: (صناعة النسيج والفخار، حفر وزخرفة الخشب، صناعة العزف، الخياطة والحياكة، صناعة الجنابي، تشكيل الحلي من الذهب والفضة، صناعة أدوات البناء والزراعة وبعض الأثاث المنزلي) نظراً لما تشكله الصناعات الشعبية والحرف القديمة من أهمية ثقافية واقتصادية واجتماعية ونقطة جذب سياحية (إنظر شكل26)[13].

فقد أثبتت الدراسات الحديثة التي قامت بها بيوت خبرة استشارية وأبحاث منظمة السياحة العالمية، أن السياح يحتفظون بجزء كبير من ميزانيتهم الترويحية والتي تتراوح ما بين (25 -35٪)من حجم إنفاقهم على الرحلة السياحية لشراء منتجات من الدول التي يزورونها، ويعد هذا الإنفاق لشراء هذه المنتجات من قبل التصدير لمنتجات وطنية [14]، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية إعادة إحياء الصناعات والحرف التقليدية وتطويرها وتوسيع عرضها السياحي بشكل دائم في سوق الملح (الميدان الأعلى) بهدف الحفاظ عليها لما تحمله من مكنونات حضارية عريقة للإنسان في هذه المدينة وما سيكون لهذه الصناعات الشعبية والحرف التقليدية من فوائد في التعريف بمدينة إب خاصة واليمن عامة، كما ستخلق تفاعلاً حضارياً يرفد التفاعل السياسي والاقتصادي بعوامل إيجابية تساعد في استهلاك هذه المنتجات.

ثالثاً: إعادة توظيف بعض المباني الأثرية والتاريخية المحيطة بسوق الملح:

نقترح إعادة توظيف بعض المباني الأثرية والتاريخية المحيطة بسوق الملح (الميدان الأعلى) بعد ترميمها وصيانتها في الجوانب الآتية:

1 - إعادة توظيف سمسرة الجلالية العليا الواقعة شمال سوق الملح (الميدان الأعلى) بعد ترميمها وصيانتها كمطعم سياحي يكون له مردود اقتصادي واجتماعي على مدينة إب القديمة(إنظر شكل 27).

2 - إعادة توظيف دار الوهابي أو دار المنصوب الواقعين في نطاق سوق الملح بعد ترميمهما كمتحف للبيت الإبي بحيث يتم تأثيثه وفرشه وكأن هناك عائلة تسكن فيه، مكونة من الجد والجدة والأب والأم والابن الأكبر وزوجته وولده وبنته. حتى يستطيع السائح أن يتعرف على تراثنا الإبّي الذي يحوي كل شيء، وهو تجسيد واقعي وتسهيل للسائح أن يتعرف على الموروث الإبّي خاصة وأن السائح لا يستطيع أن يدخل البيوت لأن مجتمعنا مجتمع محافظ وبهذه الطريقة نكون قد أعطينا للسائح معلومات صحيحة غير مشوهة أو مغلوطة عن تراث مدينة إب القديمة (إنظر شكل28).

إن إعادة تأهيل سوق الملح (الميدان الأعلى) وتوظيفه باستخداماته الجديدة لكي يصبح سوقاً تاريخياً حضارياً وحضريا ونقطة جذب سياحي لا شك له مردوداته الإيجابية سواء على سوق الملح نفسه أو على محيطه مما يجعل من أهمية التوظيف سابقة الذكر أولى هذه المردودات تضاف إليها ما يترتب على إعادة توظيف سوق الملح من عائد اقتصادي وعائد اجتماعي يساهم في تحقيق تنمية مستدامة للسياحة في مدينة إب القديمة وما يمكن أن يترتب أيضاً على إعادة توظيف سوق الملح من مردود يمكن تسميته بالصيانة الذاتية.

رابعاً: إعادة توظيف بقية أقسام سوق مدينة إب القديمة:

نقترح إعادة توظيف بقية أقسام سوق مدينة إب القديمة بعد ترميمها وصيانتها كمرحلة ثانية في وظائف مشابهة لوظائفها الأصلية أو في وظائف حديثة تلبي احتياجات سكان مدينة إب

القديمة ومتطلبات العصر والحداثة حيث يمكن إعادة توظيف سوق النخلة الواقع شمال سوق الملح (الميدان الأعلى) كمكاتب للتوكيلات السياحية وسوق اللحمة الواقع في باب سنبل كمكاتب للخدمات العامة (كهرباء، مياه، تلفون) وهكذا في بقية الأسواق .

نتائج البحث:

توصل البحث إلى جملة من النتائج التي يمكن إيجازها في الآتي :

1 - يعد سوق مدينة إب القديمة من العناصر التخطيطية الرئيسية المكونة لمدينة إب القديمة وقد شكل منظومة اقتصادية متكاملة حيث أدى وجود السوق وما يحتويه من أنشطة تجارية وحرفية في قلب مدينة إب القديمة إلى تطورها وبقائها حية ومأهولة بالسكان خلال مراحلها المختلفة.

2 - إن التطورات المتسارعة التي شهدتها مدينة إب القديمة منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين وحتى عام (2008م) قد أتت على سوق مدينة إب القديمة بالتحولات الآتية :

-توقف الحركة والنشاط التجاري والحرفي في سوق مدينة إب القديمة وتعرض السوق للإهمال بسبب تحول التجار وأصحاب الحرف اليدوية منه إلى الأسواق الجديدة خارج سور مدينة إب القديمة.

- التحول الوظيفي من الخاص إلى العام لبعض الأسواق التخصصية في سوق مدينة إب القديمة التي ما زالت تمارس النشاط التجاري مثل سوق النخلة وسوق القات حيث حلت البضائع الجديدة والمتنوعة محل البضائع والسلع التقليدية وشغلت محلات الاتصالات الحديثة جزءاً من سوق النخلة.

- تحول البنية الوظيفية لسوق مدينة إب القديمة من النشاط التجاري والحرفي إلى النشاط السكني حيث تحولت أغلب دكاكين سوق مدينة إب القديمة إلى أماكن لسكن الغرباء والوافدين على مدينة إب وتوسعت عملية السكن في دكاكين السوق يوماً بعد يوم لتحتل الوظيفة الأصلية التي بني السوق من أجلها وذلك نتيجة الزيادة الكبيرة في عدد سكان مدينة إب من جهة وصعوبة الحصول على المسكن الملائم خارج مدينة إب القديمة من جهة أخرى.

-انحسر الدور الوظيفي الرئيسي والمساعد لسماسر الإيواء المحيطة بسوق مدينة إب القديمة.

وهذه التحولات قد أثرت سلباً على الطابع المعماري والأثري لسوق مدينة إب القديمة وعلى خصوصية وديمومة مدينة إب القديمة كمدينة تاريخية حية متكاملة .

3 - عدم توفر الإمكانيات المالية الكافية لدى الجهات المعنية للإنفاق على تنفيذ برامج عملية الحفاظ على التراث المعماري يجعل من خصائص عملية إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة أنها يمكن أن تكون مرحلية.

4 - إن إعادة تأهيل سوق الملح (الميدان الأعلى) كمرحلة أولية وتوظيفه وكذا باقي أقسام سوق مدينة إب القديمة كمرحلة ثانية لا شك أن له مردوداً بيئياً واجتماعياً وعمرانياً فضلاً عن المردود الاقتصادي المتوقع مستقبلاً من زيادة الجذب السياحي وما يصاحبه من أنشطة اقتصادية متمثلة في تحسين الأداء المعيشي وزيادة فرص العمل وتحسين إمكانيات العيش في محيط السوق كما إن إعادة تأهيل السوق يعطي حياة لمدينة إب القديمة ويجعلها أكثر جاذبية وتصبح أكثر رواجاً بعد أن كانت عبارة عن مدينة مهجورة مهملة.

5 - تعد الصناعات الشعبية والحرف التقليدية في مدينة إب القديمة مورداً اقتصادياً هاماً ومصدر جذب سياحي يجب المحافظة عليها فالسائح حين يحط رحله في أي مدينة فإن أول جولة يقوم بها السائح تبدأ من أسواق الصناعات الشعبية والحرف التقليدية القديمة، إلا إن الزيادة المطردة في استيراد البضائع والأدوات الصناعية الأجنبية قد أدت إلى وضع كثير من الصناعات الشعبية والحرف التقليدية في مدينة إب القديمة في مواقف صعبة جداً يمكن أن يؤدي ذلك إلى انقراضها والقضاء على وجودها كلية.

التوصيات:

يقدم الباحث مجموعة من التوصيات التي تتلاءم مع حل مشكلة سوق مدينة إب القديمة وذلك على النحو الآتي :

1 - إيلاء أهمية خاصة لعملية الحفاظ على الطابع المعماري والأثري والتاريخي لسوق مدينة إب القديمة .

2 - إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة وتوظيفه لما له من مردود بيئي وعمراني واجتماعي فضلاً عن المردود الاقتصادي المتوقع مستقبلاً من زيادة الجذب السياحي مما يساهم في تحقيق تنمية مستدامة للسياحة في مدينة إب.

3 - عدم السماح إطلاقاً بالسكن في دكاكين السوق، والعمل على استخدام بعض السماسر والمباني الأثرية بعد ترميمها كبدائل للساكنين في السوق.

4 - تشجيع وتحفيز أصحاب الصناعات الشعبية والحرف التقليدية على العودة إلى سوق الملح (الميدان الأعلى) وإيجاد الحلول المناسبة لاستيعاب وتسويق منتجاتهم والعكس بالنسبة للسلع الأجنبية المستوردة.

5 - حماية الصناعات الشعبية والحرف التقليدية من الاندثار والمنافسة الأجنبية والاهتمام بتطويرها وعرضها السياحي بغرض زيادة الصادرات الوطنية.

6 - تهيئة الظروف داخل مدينة إب القديمة وعلى حدودها الخارجية لتنشيط مجال السياحة وذلك من خلال توفير الخدمات والمؤسسات التي تخدم في هذا المجال.

7 -تفعيل القوانين والتشريعات المنظمة لعملية الحفاظ على مدينة إب القديمة وعناصرها المعمارية التاريخية والأثرية وإسناد كافة المنشآت الأثرية والتاريخية بالمدينة لجهة إشراف واحدة.

8 -العمل على سرعة إيجاد الدعم المادي اللازم للجهات المعنية بإعادة تأهيل سوق الملح كمرحلة أولية وتوظيفه بما يخدم التوجهات السياحية للمدينة.

9 - إقامة برامج التوعية المختلفة للتعريف بأهمية الحفاظ على السوق كتراث معماري وحضاري تناقلته الأجيال عبر العصور المختلفة.

10 - توفير الكوادر العلمية والخبرات الأهلية المؤهلة في مجال الترميم والصيانة لسوق مدينة إب القديمة والمباني الأثرية والتاريخية بالمدينة.

11 -دور قسم العمارة– كلية الهندسة - جامعة إب في الاهتمام بتدريس التراث المعماري المحلي والتركيز على عناصره ومواطن الفن والجمال حتى يعطي من الخريجين ما يساعدون على حفظ التراث واستمرارية أنماطه.

12 -دور الأفراد في عملية إعادة تأهيل سوق مدينة إب القديمة والذي يكون في شكل تبرعات مالية أو التنازل عن بعض الدكاكين أو الدور لتوظيفها بما يخدم خطة الأحياء والصيانة لسوق مدينة إب القديمة.

13 -دور مكتب السياحة والآثار ومكتب الحفاظ على المدن التاريخية بمحافظة إب من خلال ما تصدره من نشرات سياحية تهتم بإبراز المعالم الأثرية والتاريخية وقيمتها الحضارية، وما يحمله ذلك من قيمة أخرى للتراث المعماري كمصدر للدخل القومي.

المراجع:

1 - الهيئة العامة للسياحة، (1999م)، نتائج المسح السياحي لمحافظة إب– الطبعة الأولى صـ6.

2 - الأفغاني، سعيد، (1993م)، أسواق العرب في الجاهلية، دار الأفاق العربية، دمشق ص.24.

3 - جامعة إب، (2002م)، المشاكل التي تواجه مدينة إب القديمة، دراسة غير منشورة كلية الهندسة صـ21.

4 - ستال، والتر، (1995م)، سوق صنعاء – ترجمة وتعليق الدكتور / رفيق محمد غنيم – كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض صـ13.

5 - مركز الطاهر للاستشارات الهندسية، (2005م)، صنعاء أسس النظم المعماري والتخطيط الحضري في العصور المختلفة، صنعاء، اليمن ص.192 -204.

6 - الأكوع، محمد بن إسماعيل، (1987م)، حياة عالم وأمير، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى صـ19 - 221 .

7 - مؤتمر العمارة اليمنية – صنعاء عراقة مدينة (2004م)، أبحاث مقدمة للمؤتمر، سبتمبر صـ4 -158.

8 - جامعة إب، الجمهورية اليمنية، (2008م)، دراسات وأبحاث كلية الهندسة ص.10 -35 .

9 - البناء، سيد محمود، (1993م)، دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة في العصر العثماني، رسالة دكتوراه – كلية الآثار، جامعة القاهرة صـ215.

10 - الحدأ، محمد أحمد، (2008م)، العمارة التقليدية في مدينة

إب القديمة وتلاؤمها مع البيئة المحيطة مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب، العدد (19) ديسمبر صـ13.

11 - باراشد، خالد ناصر، (2008 م)، الحفاظ على النسيج الحضري لحي السلام في المكلا، جامعة عدن، اليمن صـ219 - 232.

12 - الحدأ، محمد أحمد، (2008م)، المباني الأثرية ومعايير إعادة استخدامها في مدينة إب القديمة، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب، العدد (16)مارس صـ262 .

13 - صحيفة الثورة، الجمهورية اليمنية، (2008م)، الصادرة بتاريخ (15 يونيو) صـ11 .

14 - صحيفة الجمهورية، الجمهورية اليمنية، (2008م)، الصادرة بتاريخ (3 أغسطس)صـ16.

15 - الموسوعة اليمنية، (2003م)، إصدار مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، اليمن.

16 - الأدهمي، (محمد مظفر)، (2007م)، تاريخ إب، دراسة لمدينة إب وما حولها، منشورات جامعة إب.

17 - ألعفيفي، حكيم، (1984م)، إعادة استخدام الآثار الإسلامية بالقاهرة مرة أخرى لخدمة المجتمع، المجلة المعمارية، جمعية المهندسين المعماريين، السنة الثانية، العدد (5) القاهرة.

18 - محمد إبراهيم، حازم: (1986م)، الارتقاء بالمناطق التاريخية، إعداد مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، دار الشروق القاهرة، ط1.

19 - أبو محمد، حسين: (1999م)، إعادة توظيف المباني الأثرية والارتقاء بالبيئة المحيطة لها (التجربة التركية)، مجلة عالم البناء، العدد (211,210) إبريل.

20 - المعاضدي، دهام: (2003م)، البيئة الجبلية وعلاقتها بالنمو العمراني لمدينة إب، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الثانية للبيئة، جامعة إب، اليمن.

21 - الخليقي، محمد جاسم: (1995م)، العمارة التقليدية في قطر.

شكل (4) يوضح توسع مساحة سوق مدينة إب القديمة

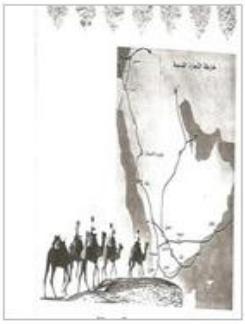

شكل (1) يوضح طرق تجارة العرب القديمة

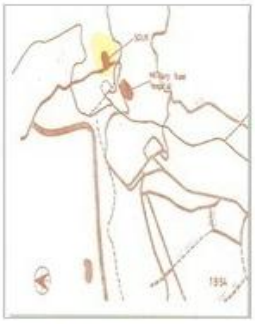

شكل (2) السوق يمثل النواة الأولى لنشأة مدينة إب القديمه

1- سوق الذهب والفضه 2- سوق البز (الاقمشه) 3- سوق الفل 4- سوق الطعام
5- سوق البزايني 6- سوق الحطب 7- سوق الحبوب 8- سوق القهوة
9- سوق اللحمه 10- سوق المر

(شكل5) يوضح مواقع بعض الاسواق التخصصية في سوق مدينة إب القديمة

شكل (3) يوضح موقع السوق بالنسبه لمدينه إب القديمه

شكل (6) سوق الملح (الميدان الأعلى)

شكل (7) سوق الطعام

شكل (8) سوق العطارين

شكل (9) سوق النخلة

شكل (10) سوق البز(القماش)

شكل (11) سوق القات

شكل (12) أسكتش يوضح مسقط وواجهة لأحد المكاتين في سوق مدينة إبي القديمة

شكل (13) يوضح جلوس المشترين على المصطبة أثناء البيعة

شكل (14) يوضح نمط الأبواب المستخدمة في مكاتين سوق مدينة إبي القديمة

شكل (15) السوق الخلفي المتبقي من أسواق مدينة إبي القديمة وفيه يباع القات وبعض الأكلات الشعبية

شكل (16) تحول مكاتين السوق إلى مباني سكنية بما في ذلك سقاية الماء الأثرية (سبيل الماء) الموجودة في سوق الملح الميدان الاعلى

شكل (17)تغيير البنية الوظيفية والنمط المعماري لدكاكين السوق التي تحولت إلى مباني سكنية

شكل (18) يوضح المشاكل الإنشائية التي يعاني منها سوق مدينة إبي القديمة

شكل (19) المسقط الافقي لسوق الملح (الميدان الاعلى) مدينة إب القديمة

شكل (20) يوضح واجهة سوق الملح الميدان الأعلى

شكل (21) يوضح تساقط الجدران الداخلية والسقوف

شكل(22)يوضح أبواب الحديد في سوق الملح

شكل(23)يوضح حاجة الأرصفة للترميم والصيانة

شكل (24)يوضح العقب والمظلات التي تحتاج إلى الترميم

شكل (25)يوضح الدكاكين المطلوب إزالتها في سوق الملح الميدان الاعلى

شكل (26) يوضح بعض أنواع الحرف التقليدية التي شارفت على الاندثار في مدينة إب

شكل (27) سمسرة الجالية العليا

شكل (28) بيت الوهابي